تقنيات الخرق التركيبي وبناء الجملة – قراءة أسلوبية في شعر دريد بن الصمة

م.م.خالد محمد ياسين - مركز طرائق التدريس والتعليم المستمر - جامعة الانبار
khalidalaskary٨٠@gmail.com

المستخلص

تطمح هذه الدراسة جاهدةً الى البحث عن تقنيات الخلخلة التركيبية عند الشاعر الجاهلي (دريد بن الصمة)[١]، من خلال الوقوف عند محورين الاول يختص بتراكيب الجملة وتقنيات الخرق التركيبي القائم على رصد الإنزياحات التي تمنح النص حيوية وفاعلية ،أما المحور الآخر فيقوم على دراسة اساليب الطلب التي تمنح النص تراكما دلاليا في التعبير عن مكنونات الشاعر وما يختلج في صدره من احاسيس ومشاعر مختلفة.

الكلمات الرئيسية: شعر– اسلوبية – دريد بن الصمة

Abstract

This study aims to research the techniques of compound vibrations for the poet in pre-Islamic poet (Duraid Ben Al-Sama) through two classifications; The former deals with sentence structure and the techniques of structural breach which found on discovering the transformations which give the text the activity and life. The later, build on study methods of request which gives the text active semantic accumulation and able to show the inner feelings and sensations of the poet.

Keywords: Poetry, Stylistics, Duraid Ben Al-Sama

[١] هو دريد بن الصمة معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن الفارس المشهور .ينظر : جمهرة أنساب العرب: ٨٦.

المقدمة:

إن البحث في المفردات ضمن إطارها الفني وسيلة للكشف عن القيم الجمالية لكنَّها غير كافية من دون البحث عن المفردات ضمن سياقها الاسلوبي الذي يعدُّ عنصراً هاماً للوصول إلى السمات الفنية للمبدع، إذ أنَّ التركيب وجه مهم من أوجه البناء الأسلوبي والفني, ودراسة التراكيب دلالياً جانب مهم في علم الدلالة، ولا ننسى دور المتلقي الذي هو مدار العملية التواصلية في الخطاب، ومعلوم أن تركيب الكلام يتكون من كلمات يتوخى صاحبها النحو، وبهذا تصبح سمة مهمة من سمات النظم وفهم أسراره، ويُعد التركيب من أهداف الدراسات الجمالية؛ لأن التراكيب النحوية تكون به مجندة لخدمة الدلالة بما تنطوي عليه من علاقات تفاعلية فيما بينها، ومن خلال هذا تتضح العلاقة الجدلية بين التراكيب والدلالة، فهما في تفاعل مستمر، فالعنصر النحوي يمدُّ العنصر الدلالي بالمعنى الأساس في الجملة، مما يساعد على تمييزه وتحديده، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر[٢].

والدرس الأسلوبي الحديث لا يقف عند التركيب إنما يكتنه أبعاده الدلالية، ومعلوم إن الشعر«هو بنية ذات عناصر متضافرة أصوات ومعجم وتركيب ودلالة»[٣]، ولا ننسَ دور الانزياح اللغوي الذي يقوم بنقل المفردات من مستواها الدلالي الأول إلى مستويات مغايرة تماماً كونه الخروج غير المتوقع للكلمات، إذ إنَّ ما يعمله الإنزياح هو تحقيق المفاجأة التي تؤدي بالقارئ إلى الغبطة والدهشة.

---

[٢] ينظر: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي:١١٣.

[٣] دينامية النص، محمد مفتاح:٦١.

لذا سنحاول التعرف على أبرز سياقات الخرق للتراكيب والأساليب التي بنى دريد بن الصمة نصوصه عليها ليجعل من شعره ذا قيمة جمالية وإبداعية، وسنوضح أهم تلك التقنيات:

المبحث الأول: أساليب بناء الجملة:

التقديم والتأخير:

يعدُّ التقديم والتأخير من أهم الظواهر الفنية التي عُني بها النقاد قديماً وحديثاً، يقول عبد القاهر الجرجاني«باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية»[٤]، ومعلوم عن المبدع أنه مرهون في تحركاته اللغوية التي يبرزها للقارئ بثوب لغوي قشيب.

وسوف نقف عند بعض من تلك النماذج الشعرية التي شكلت ملمحاً جمالياً في شعره، يقول:[٥]

إذا هبط الارضَ الفضاءُ تزيّنت لرؤيته كالمأتمِ المتبدّد

نرى أن الشاعر قدم المفعول به(الأرض) وأخر الفاعل (الفضاء) ليعطي القارئ مساحة ليعيش لحظات رؤية الارض وهي تتزين بعد سقوط الماء عليها وقد تغير شكلها وبدت كالمأتم الذي انقضى وتبدد وحل محله السرور والإنشراح،إن الخطاب الشعري في هذا النص هو خطاب الشاعر لنفسه، ولعل أسلوب الشرط الذي افتتح به النص يوحي بحرية واسعة التصرف ويمنح النص دلالات إيحائية حمل مزيجاً من الأمل واليأس، والأهم هو ذلك الاستحضار النفسي الذي جسده الشاعر في نصه.

---

[٤] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:٨٣.

[٥] ديوانه:٧٢.

وظاهرة التقديم والتأخير من أهم مظاهر العدول التركيبي في اللغة، وأكثر ما نجده في الشعر، فهو الميدان الرَّحب والفضاء الخصب الذي تستظل فيه،وتحتلّ مساحة واسعة منه لأنّها لا تتشكل اعتباطاً، بل تبعا للمعنى. ولما كانت لغة الشعر لغة انفعالية؛ وجدنا التراكيب تنساق وتتهيكل بحسب ظروف القول وبعفوية منسابة، ويمكننا أن نقف عند قوله لتلمس جماليات هذه الظاهرة، يقول:[٦]

إن يكُ رأسي كالثغامةِ نسلهُ يطيف بي الوالدانُ أحدب كالقردِ

الأصل في الترتيب النحوي أن يقول في الشطر الأول (رأسي نسله كالثغامة)، يريد الشاعر أن يتذكر أيام صباه التي فارقها، فيشبه نفسه بالثغامة*، وهو يتقلب على سريره ،فشكل هذا التعبير جواً نغمياً واضحاً ، تعاضدت مع دلالات الكلمة (الثغام)الموحية بالحركة والحيوية . وقد دأب الشاعر على محاولة استثمار إمكانات اللغة جميعها في خدمة الدلالة وإيضاح الفكرة ، فمن ذلك ما بدا واضحاً من خلال الفصل بشبه الجملة.

ومعلوم أنّ الشاعر حين أراد أن يغيّر معايير التعبير النحوي، فإنه يجعل من البنية النحوية بنية محايدة ليس لها دور في الأداء الشعري، ولكنَّ الذي يجعلها فاعلة هو السياق الذي توضع فيه فيتم إدراك سر تلك المتغيرات اللغوية وتعدُّ تلك المثيرات الأسلوبية من أهم العوامل المساعدة في إحداث الخلخلة داخل النص لإنجاز القراءة التي تحرص على الإنصات وكشف بنية النص النحوية

---

[٦] نفسه:٧٨.

*الثغام: نبت على شكل الحَلِيّ هو أغلظ منه وأجل عوداً يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس–ينظر : لسان العرب (مادة ثغم) .

وتلمس الأنساق النصية ،فليس الغرض من هذا العدول تغيير مواقع العناصر المكونة للجملة فقط ، ، ومن النماذج الشعرية قوله:[٧]

بين روضٍ ونباتٍ عرفهُ طيب أهدى لنا مسكاً زكيا

الأصل أن يقول (طيب أهدى مسكا زكيا)، فقدم الجار والمجرور وأخر خبر وفصل بينها وبين خبرها بشبه جملة (لنا)، فكل تلك الخلخلة التركيبية تضفي على النص الشعري حيوية وفاعلية.

فالتقديم هنا حقّقَ ما أراده الشاعر وهو وصف تلك الرياض وما نبت بها من نباتات وأن الربيع أهدى إليه مسكا زكياً، فضلاً عن ذلك عنايته بالمعنى وسبكه وتحقيق الترابط اللفظي والمعنوي بانسجامه مع الموسيقى في إطار تركيب البيت الشعري.

ومنه قوله:(٨)

يدب اليه السبع يختل ظله وفي كفه صافي الحديدة صارم

مما يلاحظ على هذا النص أنَّ أسلوب التقديم والتأخير جاء لبيان شجاعة وقسوة هذا الفارس، فالترتيب أن يقول يدب السبع اليه ولكن الشاعر فصل بين الفعل وفاعله بـ (اليه)الجملة المكونة من الجار والمجرور.

إنَّ الشاعر وهو يلح على صورة هذا السبع الذي جعله الشاعر نصب عينيه يريد الإنقضاض عليه فهو يريد أن يعطي للقارئ فرصة خلق جو ايحائي فاعل من خلال تحليق الذهن بصورة هذا السبع الذي يريده ولكن الفارس الشجاع يطلبه وهو يحمل في يده أدوات القتل للفوز بالمعركة؛ لذا فأغلب نصوص الشاعر تمثل صراعاً وجودياً مع الطبيعة بكل صورها وما تحمله صورة الصحراء من بعد

---

[٧] ديوانه:١٧٧.

[٨] نفسه:١١١.

روحي وانساني للشاعر، و بنية النص تتشكل وتتفاعل لتنتج دلالات جديدة وتخلق طاقة إيحائية تغني حركة النص في مسارها الفني للوصول بالشاعر إلى الذروة النفسية، وهنا تتحول كلمة الشيب من خلال تكرارها إلى فضاء فسيح يمكن لذات الشاعر أن تحلق في افقه لأنَّه أصبح واقعاً لا مفرَّ منه، وهذا ما تجسده الدوال الشعرية للتركيب النحوي.

ومن نماذج التقديم والتأخير التي وظفّها شاعرنا قوله:[٩]

ولكم خيل عليها فتيةٌ كأسود الغاب يحمين الاجم

ليس في الارض قبيل مثلكم حتى يرفضُّ العدا غيرَ جشمِ

إذ قدَّم الشاعر في البيت الأول والثاني شبه الجملة من الجار والمجرور ،ففي البيت الأول كان عليه أنْ يقول خيل عليها فتية، وكذلك الحال مع البيت الثاني فقد فصل بين الفعل وفاعله بشبه الجملة وكان عليه أن يقول ليس قبيل مثلكم، فالشاعر أراد أن يبين قصده أولاً، فالاهتمام بهذا الأمر محورُ النص ودلالاته، ليستوفي سياق الجملة معناه المقصود.

ومن الصور الأخرى للتقديم والتأخير قوله:[١٠]

قطعت من الدهر عمرا طويلا وافنيت جيلا وابقيتُ جيلا

هذا الترتيب يعدُّ خرقاً لرتابة الجملة العربية،إذ أنّ المألوف أن يقول قطعت عمرا طويلا، ولكن الشاعر جاء بشبه الجملة من الجار والمجرور وفصل بين الفعل والفاعل والمفعول به، وهذا الخرق التركيبي جاء موافقاً للموقف الشعوري العام الذي تملك الشاعر بسبب إحساسه وما يشعر به من موقف ضعيف نتيجة

---

[٩] نفسه :١٥٥.

[١٠] نفسه:١٥٥.

تقدم العمر به، فالمعيار النحوي المخالف للقاعدة هو الذي يولد المفاجأة والدهشة كما يقول جاكوبسون «تولد اللامنتظر من خلال المنتظر»[١١]،الأمر الذي أكسب النص خاصية أسلوبية تؤدي إلى تكثيف الدلالة واتساعها. واتخذ الشاعر من أسلوب التقديم والتأخير سلَّما؛ ليرتقي بحال الجملة من صورة إلى أخرى، تكون ذات اثر كبير في نفس المتلقي.

الفصل والوصل:

إنّ أسلوب الفصل والوصل من التقنيات المهمة التي يلجأ الشاعر إليها، فهذا الباب هو أحد الأساليب التي تبحث في أحوال الجملة، فالوصل، عطف بعض الجمل على بعض،والفصل تركه[١٢]، وأسلوب الفصل والوصل من العلوم التي امتازت بدقة مجراها ,ولطف مغزاها،إذ يتعلق بهما أسرار ولطائف، وترسم لنا صوراً تحسّها النفس فتتلمسها مستشعرة المغزى الذي قصده الشاعر[١٣]، فالفصل تتجلى فائدته في عطف الكلام بعضه على بعض لغرض إشراك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم النحوي والدلالة، فيصبحان شيئاً واحداً لخلق صورة مؤثرة في المتلقي، ولها أبعاد متكاملة، أما الفصل فيلجأ إليه الشعراء لإعادة توكيد المعنى وتقريره عن طريق ذكر ألفاظ تفيد تقوية المعنى وإبرازه.

فجمالية أسلوب الفصل والوصل أنَّها تراعي أهمية الدلالة في هذا الجانب وإضفاء جمالية وبهاء على نسق الكلام.

---

[١١] الأسلوب والأسلوبية:٨٦.

[١٢] مفتاح العلوم :٣٥٧.

[١٣] ينظر: لغة الشعر عند السيد حيدر الحلي: ١٥٣.

وقد جاء هذا الأسلوب في شعر دريد بن الصمة ،واظهر القدرة على استعماله في مواضعه المختلفة،ومن ذلك قوله:[١٤]

إن السنين إذا قرين من مائةٍ لوين مرة أحوال على مرر

فنرى أنّ النص واحدٌ وهو ينطلق من بؤرة دلالية واحدة، وقد عملت الدلالة على شد النص من خلال تلك العلاقات التي ربطت أجزاءه وتحركت في تواتر وتجاذب على شكل شبكة من العلاقات المتشابكة على جسد النص، كما تقوم تقنية الفصل بدور حيوي فاعل في تأسيس الوجه الأهم في البنية الحركية للنص.

ومنه قوله:[١٥]

رأت ثعلبا من حرة فهوت له إلى حرة والموتُ عجلانُ كاربُه

فخرَّ قتيلا واستمر بسحره وبالقلب يدمى أنفه وترائبه

ففي البيت الأول والثاني اتحاد بينهما، فالشاعر يرسم لنا صورة لهذا الثعلب الذي وقع في شرك الموت فأدمى الموت رئته وقلبه وأنفه، فجاء البيت الثاني توكيداً للمعنى الأول في البيت الأول، وقد أعطت المساحة النصية البيتين الدلالة عمقاً أكثر.

والناظر إلى نص الشاعر يرى أن البيتين متحدان فهما يرسمان صورة واحدة متعددة الدلالات ، فالشاعر زاوج بين العبارتين في البيتين بعد أن أسقط كل الروابط المتمثلة بحروف العطف في البيت الأول أما البيت الثاني فجاءت أدوات الربط فاعلة لتعطي مساحة أكبر للحدث ورسم تفاصيله بوضوح.

ويقول أيضا:[١٦]

---

[١٤] ديوانه:٧٤ .

[١٥] نفسه:٥٠.

ولما رأيت الخيل قُبُلاً كأنها جرادٌ يُباري وجهة الريح مُغتدي

أمرتُهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغدِ

الشاعر حريص على قومه وعلى الرغم من النصح الذي قدمه لهم لكنهم لم يسمعوا لكلامه فأوقعهم بمصيدة العدو ولكن ولات حين مندم، إذ بين البيتين اتصال تام، فجاء البيت الثاني تأكيداً للبيت الأول وما تضمنه من معاني، ولعلَّ الذي قرب معاني النص هو حذف الروابط في البيتين فضلاً عما أعطاه تكرار الافعال في البيت الأول من حيوية وحركة للدوال الشعرية التي تضمنها البيت الثاني.

أحدث أسلوب الفصل والوصل في شعر دريد بن الصمة انسجاماً أسلوبياً بين اللفظ والمعنى أظهر الشاعر قدرته الفنية على استعماله في الأماكن التي يستحسن فيها الفصل محققاً الترابط والانسجام في تركيبه للبيت الشعري.

أما الوصل فهو«عطف جملة على أخرى بالواو»[١٧] وهي من أبرز الظواهر وأوضحها في اللغة العربية, إذ تتسم العربية بكثرة أدوات العطف؛ لذا عدّها أحد الباحثين لغة الوصل[١٨]، ومنه قوله:[١٩]

وإن يك عبدالله خلّي مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد

ولا برما اذا الرماح تناوحت برطب العضاه والضريع المعضدِ

---

[١٦] نفسه: ٦١.

[١٧] علم المعاني: ١٨٧.

[١٨] ينظر:أسرار العربية: ١١٠.

[١٩] ديوانه: ٦٦.

فقد وصل الشاعر بين جملتين لغرض إشراك في الحكم الإعرابي وهو يرثي أخاه الذي فارقه ،فكل تلك الصفات التي تمتع بها عبدالله كان كفيلة برسم صورة حزينة للشاعر، فقد وصل بين الجملتين ليوضح معنى الجملة الثانية، فكأن بين الجملتين رابطاً واحداً، فربط الشاعر بين معنيين متقاربين باستخدام أداة الربط الواو والفاء.

إذ نرى أنّ الرابط النحوي في هذا النص هو(الواو والفاء)، فقد شكّلا بؤرة أسلوبية قادرة على النهوض بفضاء النص الشعري من خلال شد أواصر الألفاظ وتأكيد الفكرة بهذه الروابط، وقد أسهم ذلك في ضم البنية وجعلها تعبر عن فكرة واحدة لخلق سياق فني معبّر عن الحالة الشعورية لخدمة النص والاسترسال في الوصف.

المبحث الثاني: أساليب الطلب:

استخدم الشاعر عدداً من الأساليب التي شكلت ملمحاً واضحاً في شعره ودالة الإبداع لديه ومن أهم تلك الأساليب:

أسلوب الاستفهام :

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل , وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، فقد يكون استفهاما إنكاريا وقد يأتي للتشبيه والتعجب والوعيد والأمر والتقرير وغير ذلك من الأغراض البلاغية التي تتوافق مع مقتضى حال المتلكم وغايته من صياغة الجملة الاستفهامية التي تفهم من سياق الكلام ودلالته[٢٠]. ويعدّ الاستفهام من«أوفر أساليب الكلام معاني،

[٢٠] جواهر البلاغة:٩٣.

وأوسعها تصرفاً وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً؛ لذا نرى أساليبه تتوالى في مواضع التأثير، وهيجان الشعور للاستمالة والإقناع»[٢١].

وهو من أساليب الإنشاء الطلبي التي يستعين بها الشاعر؛ ليكون خطابه الشعري مؤثراً في المتلقي لإشراكه في العملية التواصلية للخطاب من جهة وللتعبير عن معاناة الشاعر النفسية والشعورية من جهة أخرى، والاستفهام عند الشاعر يدخل في نسيج البنية الفنية والتركيبية، ولا يكون طارئاً عليها بل داخلاً في نسيجها متفاعلاً معها، فدلالات الجملة الإستفهامية غير مقتصرة على نوع أو أداة أو أنواع العناصر وطريقة ترتيبها أو رؤية الشاعر بل هي مرتبطة بكل ذلك ومتولدة عنه[٢٢].

ودريد بن الصمة أحد الشعراء الذين لجأوا إلى أسلوب الاستفهام؛ ليظهر بذلك صور شعرية مفعمة بالخيال فضلا عن دلالاتها الرمزية العميقة التي تترك صداها لدى المتلقي، فألّف هذا الأسلوب ملمحاً أسلوبياً بارزاً وظاهرة تركيبية واضحة لا يمكن إغفالها انبثقت تبعاً للبواعث النفسية التي تفرزها ظروف الشاعر، فيصبح النص بؤرة من التساؤلات تجسد ما يعتلج في صدره من قلق وحيرة ، ومن خلال عمليات التحليل الأسلوبي لتلك النماذج تكشف عن وجود تنوع في الصور في توظيف الاستفهام، وقد يأتي الاستفهام في مفتتح النص؛ ليؤكد حقيقة ما يريد الشاعر إثباتها للمتلقي، وقد برز الاستفهام في خطابه الشعري مهميناً أسلوبياً، وهو لم يستخدمه لغرض الاستعلام وإنما جاء انزياحاً لأجل دلالات أخرى .

---

[٢١] أساليب الاستفهام في القران الكريم:٢٩٢.

[٢٢] ينظر: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي:٦.

وسوف نقف عند طرائق الشاعر في استخدام الاستفهام في خطابه الشعري، ونجده في مختلف أغراض شعره من ذلك قوله:[٢٣]

أتزعم أنني شيخ كبير وهل خبرتها أني ابن أمسي

يتحرك النص في إطار الإستفهام بأداة واحدة هي(هل)، ففي البيت الأول يخرج الاستفهام بـ(هل) عن معناه الحقيقي إلى معنى ثان وهو التعجب والتهكم، وتؤيده قرينة المستفهم عنها كما نراه في الشطر الثاني من البيت، وكذلك أن استخدام الشاعر للمعنى المجازي للاستفهام قد عمل على أن تكون مقاصده ومراميه واضحة عند المتلقي وتدفعه إلى استخراج المعنى المراد ليتم التفاعل والمشاركة بين الشاعر ومتلقي شعره، وإن هذا اللون من الاستفهام الذي يحمل أكثر من مقصد يعمل على تصعيد حدة التوتر في الجملة على صعيد الدلالة الشعرية؛ لتتشاكل وتتفاعل فيما بينها لتنتج دلالات جديدة تغني حركة النص في مسارها الفني للوصول بالخطاب الشعري إلى الذروة في التأثير والتواصل الفني الذي يعمل على تكثيف العلاقات الكامنة في السياق عبر تتابعها وتواليها في أنساق تحمل ألواناً دلالية ولغوية خاصة يمكن أنْ تسهم في التعبير عن مواقف الشاعر ومراميه.

ومنه قوله:[٢٤]

أمن ذكر سلمى ماء عينيك يهمل كما انهل خرز من شعيب مشلشل

وماذا ترجى بالسلامة بعدما نأت حقبٌ وابيض منك المرجل

إنَّه خطاب الشاعر مع ذاته وقد عبرت أداة الاستفهام(الهمزة) عن ذلك، فكانت الحسرة والتأسف بادية على جسد النص ونرى في البيت الثاني قد تمَّ

---

[٢٣] ديوانه: ١١٦.

[٢٤] نفسه:١٤٣-١٤٤.

تكثيف النسق الاستفهامي بالأداة (ماذا). إن هذا التراكم لأداة الاستفهام جسّد معاناة الشاعر وما يحس به بعد أن تخلى عنه أقرب الناس إليه، فهو يظهر توجعه وحسرته وكان هذا التراكم وسيلة لإظهار ألمه وما يعانيه.

إنَّ أول ما يلاحظ على النص أنَّ الشاعر يتحدث بضمير (أنت) وكأنَّه يوجه خطابه إلى ذات أخرى؛ ليبلور صراع الذات في حزنها وقلقها عبر تنوع الخطاب، فالضمير (أنت) يولد ائتلافا مزدوجاً بين ذات الشاعر والآخر القائم على التجريد؛ ليجسد صورة الألم والحسرة ، ويقوم هذا النوع من الاستفهام التراكمي بفاعليته التعبيرية على تجسيد الحركة الداخلية للنفس والذي يتم عن تفاعل الدلالة مع حركة الاستفهام داخل بنية النص الشعري، فضلاً عما تحتويه من عناصر جمالية تغني النص وتزيد في حركة الدلالة ، فقد وجد الشاعر في هذا الأسلوب التجريدي للذات ملمحاً أسلوبياً ومجالاً رحباً لمخاطبة الآخر، فإنَّ هذا يؤدي إلى تفعيل حركة النص الداخلية، ومن خلال ذلك يتم إظهار مفهوم التركيب الذي يتفاعل مع الدلالة ضمن بنية معرفية وجمالية.

أسلوب الأمر:

الأمر هو« صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عنه استدعاء الفعل من جهة غيره على جهة الاستعلاء»[٢٥]، ولأسلوب الأمر صيغ عدة أهمها(فعل الأمر والمضارع المسبوق بلام الأمر واسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر)، وهو صيغة معروفة من صيغ الطلب يتطلب الإلزام والإيجاب[٢٦]، وقد ورد في شعره وفي مواضع مختلفة ولدلالات متعددة ، وفي أغراض متنوعة، وقد اتخذ الشاعر دريد بن الصمة من أسلوب الأمر وسيلة فنية لإيصال أفكاره وصوره إلى المتلقي، ومعلوم أنَّ لهذا الأسلوب أهمية في بناء النص الشعري

---

[٢٥] كتاب المضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:٢٨٢.

[٢٦] ينظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ٢٣-٢٤.

كونه يؤدي دوراً في التعبير عن مشاعره وانفعالاته وحالاته النفسية، وقد جسد من خلال هذه التقنية علاقته بالآخر، ومن خلال هذا الأسلوب يمكن تلمس طبيعة التجربة الشعرية، إذ جاءت صيغ الأمر لتعبر عن تلك المعاني، وقد وظّفه ليوّصل من خلاله إلى كل تلك المشاعر، وكثيراً ما تخرج تلك المعاني الحقيقة إلى المعاني المجازية؛ لأنها تمنح المعاني فضاءً واسعاً في التعبير، ويجعل المتلقي على صلة وثقى مع الحدث الذي يريد إظهاره الشاعر.

وقد ورد في شعره وفي مواضع مختلفة ودلالات متعددة، وفي أغراض متنوعة ، كقوله:[٢٧]

فأبلغ سليما والفافها وقد يعطف النسب الأكبرُ

وأبلغ لديك بني مازنٍ فكيف الوعيد ولم تقدروا

يستغل الشاعر تقنيات أسلوب الأمر من خلال تكرار الفعل (أبلغ)؛ ليجسد طاقات تعبيرية وتحفيزية ليوجهها للآخر الذي هو بلا شكَّ المتمثل بالعدو الذي يتحداه من خلال الدال اللغوي(فكيف الوعيد، ولم تقدروا)، إذ إنّ خطاب الشاعر الذي غلفه بأسلوب الأمر جاء فاعلا في النص ومعبرا عن قدرته في لقاء العدو، فالشاعر يستثمر طاقة الأمر الإيحائية.

النص يُنْبئُ أيضاً بإسلوب الإستفهام (كيف) مع فعل الأمر (أبلغ) الذي مثّل تهديدا مبطنا للآخر؛ ليحقق الفاعلية الشعرية للنص، فأفعال الأمر في هذا النص قد شغلت حيزاً أوسع إذ أصبح النص الشعري مجموعة من المتتاليات المترابطة تحكمها علاقات وترابطات تجعل من صيغ الأمر ذات فاعلية وحيوية قادرة على شد انتباه المتلقي.

ومن النماذج الشعرية الأخرى قوله:[٢٨]

---

[٢٧] ديوانه: ١٠١.

فاقعد بطينا مع الاقوام ما قعدوا وان غزوت فلا تبعد من النصب

يجسد فعل الأمر (اقعد) خطاباً شعرياً يحملُ في طياتهِ التهكم، فالشاعر وهو في موضوع السخرية يتخذ من فعل الأمر وسيلة لتجسيد ما يعتريه وهو يوجه خطابه للآخر، وقد ألّف الدال اللغوي(اقعد) شبكة من العلاقات الدلالية التي كونت مقولة النص، فالنص يقدم صيغة الأمر التي جاءت مقترنة بالكثير من دوال الهجاء والتهكم من هذا الشخص الذي وصفه بأنه (بطينا) ، فهذا الدال يحمل الكثير من العجز والجبن ،فضلا عن الشطر الثاني الذي حمل دلالات السخرية ايضا ولاسيما قوله(فلا تبعد عن النصب)، وكل تلك العلاقات تتحرك بدور حيوي وفاعل في تأسيس مقصدية الشاعر للبنية الحركية للدوال الشعرية التي شكلت النص، وذلك من أجل الكشف عن العلاقات الداخلية التي يقوم بها بغية تحديد هذه العلاقات المتضافرة ضمن مستويات التقارب والتماثل والتضاد.

نسق الشرط:

يتألف الكلام من أكثر من جملة وتبدو وكأنّها جملة واحدة، والشرط في حقيقته يتألف من جملتين الأول فعل الشرط والثانية جواب الشرط، ولكنهما من حيث المعنى جملة واحدة قد علقت الثانية بالأولى وارتبطت حتى صارت جملة واحدة، وعلى هذا فأنّ«معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غير»[٢٩]

يبرز الشرط بين الأساليب التي استعملها الشاعر في بناء نصه الشعري ويقوم هذا الأسلوب بأدواته على ربط الشرط بالجواب ربط مسببٍ بسبب،ويعدّ هذا النسق اللغوي ضمن الأساليب التي أكثر دريد بن الصمة استخدامها في ديوانه، ونظرا لقيامها على مجموعة من الوظائف التي تمتلك قيماً فنية وجمالية

---

[٢٨] نفسه:٤٧.

[٢٩] مستويات البناء الشعري-دراسة في شعر إبراهيم بن سنة:٢٧٨.

رئيسة كالتعليق والربط، وهو بمعناه الدقيق التأليف الربط بين جملتين وتعليق الثانية منهما بالأولى بوساطة أدوات الشرط الخاصة بهذا الغرض[٣٠]، ومن تآلف الجملتين تنتج جملة واحدة تكتمل دلالياً وعلائقياً.

لقد شكّل هذا النسق منبهاً أسلوبياً بارزاً في شعر دريد بن الصمة ؛ ولهذا الأسلوب أيضاً دلالات فنية ونفسية قد استثمرها الشاعر على أتم وجه.

وسنقف عند بعض من النماذج للبنيات الفنية للبنية الشرطية في سياقها الفني، والتي تجسدت بصيغ وتحولات أسلوبية كثفت الرؤية الشعرية وحققت التضافر التركيبي والدلالي، من ذلك قوله:[٣١]

فإن تدبروا يأخذكم في ظهوركمُ وإن تقبلوا يأخذكم في الترائب

وإن تسهلوا للخيل تسهل عليكم بطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

نرى أن الشرط قد حمل هنا الكثير من الشحنات الدلالية والمتمثلة بحث قومه على أخذ الحذر وعدم الركون إلى الراحة ولعل الدال اللغوي(فإن تدبروا) وبقية الدوال الاخرى في البيتين الشعريين تحمل المقصد نفسه، وهو يسعى من خلال هذه الأبيات وعن طريق تقنية الشرط إلى تأكيد تلك الأمور.

يفتتح الشاعر نصه بأداة الشرط (إن) ؛ ليوجه خطابه إلى ابناء قومه ليأخذوا حذرهم،وهو بذلك يعتمد على الشرط في توجيه خطابه للآخرين وتأتي أداة الشرط (إن) لتحقيق وظيفة التعالق الشرطي ففي البيت الأول يقول(فإن تدبروا) تقابلها جملة (يأخذكم في ظهوركم) فهما جملتان ولكن معناهما واحد،ونرى أنّ فعل الشرط وجوابه قد أتى تاماً، ثم يأتي الشرط في الشطر الثاني من خلال

---

[٣٠] ينظر:المقتضب، المبرد:٤٦.

[٣١] ديوانه:٧٣.

الأداة (إن) موافقاً للشطر الأول وكذلك الحال مع البيت الثاني وهذا التراكم الشرطي خلق بؤرة دلالية قادرة على تحفيز الاخرين وشدهم إلى خطاب الشاعر.

إن السياق الشرطي المُتأسس بفعل الأداة(إن) يقوم على الشرطية المحتومة، فهي تؤدي عملية شد وتقوية روابط الجملة الشرطية، فكل خاصية شرطية في البيتين لها قيمة أسلوبية، وتحدث في النص عناصر جديدة من المتعة والمفاجأة واستحضار الشاعر لها في هذا النص شكل خاصية فنية كانت ذات أبعاد وفضاءات واسعة، ولا شك أنّ المبدع حين يخضع نصّه لمثل هذه التقنيات فان سيكون لها مساحة تعبيرية ناتجة عن كيفية تعبير الذات الشاعرة المرتبطة بانفعالاتها السائدة ، والتي تعطي من الإيحاءات الانفعالية ما يساعد على نمو التجربة الفنية، وهو ما تؤديه التراكيب والأساليب اللغوية التي يوظفها الشاعر.

ويوظف الشاعر أدوات الشرط لأغراض معينة خاصة ومثال ذلك قوله:[٣٢]

إذا لقيت بني حرب واخوتهم لايأكلون عطين الجلد والأهب

لا ينكلون ولا تُشوى رماحهم من الكماة ذوي الأبدان والجبب

فاقعد بطينا مع الاقوام ما قعدوا وان غزوت فلا تبعد من النصب

يوظّف الشاعر في البيتين أداة الشرط(إذا)التي أفادت تحقيق الشرط، ففي النص الشعري اعتمد الشاعر على تقنية الشرط من خلال الاداة (إذا) ليحقق فاعلية شعرية مهمة تقوم على تأخير جواب الشطر حتى البيت الثالث ليمنح القارىء متعة انتظار جواب الشرط ومع كل تلك المدة التي تأخر بها جواب الشرط جعل المتلقي حاضرا وفاعلا في التجربة الشعرية لأن تأخر جواب الشرط

---

[٣٢] نفسه: ٤٦-٤٧.

جذبَ المتلقي وشدهُ للعملية الإبداعية وهنا تتجلى المقابلة النصية وتظهر بالقوة والفعل من خلال السياق واستخدام الشاعر لأداة الشرط(إذا) في البيتين أدى إلى تكثيف الحدث من خلال الشرطية التامة التي قامت عليها الأبيات ، وهو ما أثرى الدلالة النصية وأدَّى إلى تعدد المعنى فيهم وجسّد ذلك الصراع النفسي في ذات الشاعر ، وهذا النص شهد اتساعاً في أطار تكوين الجملة الشرطية من خلال طول الجواب أو إطالة التركيب فعل الشرط وتعدد متعلقاته كتعدد المفاعيل أو التراكيب، وتأخر جواب الشرط إلى البيت الثالث وهذا يعطي اتساعاً وتكثيفاً للدلالة النصية.

أسلوب النفي:

من الأساليب اللغوية التي تدلُّ على نقض الفكرة وإنكارها، وهو ضد الإثبات فاستعمله الشاعر من أجل تقوية المعنى؛ ولهذا الأسلوب دور في شعر دريد بن الصمة، فأثرى شعره في الوصول إلى المعاني التي عبَّر عنها بنقضه للأفكار وإنكارها، والشاعر على وفق هذا المفهوم يطابق بين التعبير الفني والتجربة الشعورية التي ينطلق منها, ولا فرق بينهما إلا إن احدهما نفي والآخر إيجاب وحروف النفي ستة هي : (ما، لا ، لم ، لما ، لن ، إنّ)[٣٣]، وفي شعر دريد بن الصمة نجد إن الأداة(لا) تشكل حضورا بارزاً في شعره إذ تمكن الشاعر من ان يضع جسور التواصل بينه وبين المتلقي، ومنه قوله:[٣٤]

وما قصرت يدي عن عظم أمر أهم به ولا سهمي بنكس

وما أنا بالمزجى حين يسمو عظيم في الامور ولا بوهس

---

[٣٣] ينظر: شرح المفصل: ١٠٧/٨.

[٣٤] ديوانه: ٨٦.

تنهض الأدتان(ما ولا) في بناء البتيين الشعريين، وتتعاضد مع الفعل الماضي في بناء النص، والشاعر يحاول أن يوسع من دائرة النفي؛ لتقوية المعنى وتوكيده.

تتكون هذه المتتالية اللغوية من (لا وما) المتصلة بالفعل الماضي، ومعلوم أنَّ النفي إنكار للشيء وإثبات شيء آخر، فإنَّك حين تريد نفي صفة فإنك بالمقابل تثبت نقيضها، وكأنَّ الدال اللغوي قصرت قد أثبتت الكرم وقصرت عليه، وقد تعاضد ذلك مع الافعال التي أكدت المعنى مرة أخرى، وقد تحقق من خلال تلك الصيغ الأسلوبية بؤرة نصية عملت على تحريك دلالات النص في سياق شعري متماسك، ومثل هذه الأنساق مرتبطة بالشاعر لا تنفصل عنه، وريشته التي يرسم بواسطتها أفكاره ومعانيه، ينسقها بحسب مقتضيات تجربته ويكشف عن أسرارها العميقة تبعاً لاستعمالها فتخرج بثقلها الدلالي إلى عالم القصيدة بغض النظر عن كونها صالحة أو طالحة، نبيلة أو نابية مكتسبة هويتها الشعرية من السياق الذي يجمعها مع غيرها بعلاقات تحددها التجربة الفنية.

ويمكن أن نلمس نماذج شعرية أخرى مثل قوله:[٣٥]

وفيتَ فلم تغدرْ لقومٍ بذمةٍ ولم تَدنُ من حال يَنالك عارُها

إذا ما ابن يحيى جعفرٌ قصدتْ لهُ ملماتُ خطبٍ لم ترعهُ كِبارُها

أعتنى دريد بن الصمة ببناء نصه الشعري اهتماماً كبيراً وأولاه عناية فائقة؛ ليكون بناؤه محكماً ورصيناً ، وتفنّن فيه تفنناً يدلّ على قوة فصاحته وحسن تصرفه في الكلام ، فأخذ يتلاعب بترتيب عناصر جملته الشعرية تلاعباً مشروعاً تسمح به مرونة اللغة وشموليتها وفي هذا النص نرى الشاعر يكرر

---

[٣٥] نفسه: ٩٣.

النفي ب(لم) في البيت (٣) مرات، فهو يريد أن يصوّر أخلاق ذلك الرجل الذي لم يغدر ولم يلحق العار به، وقد عملت الأداة (لم) على شد روابط البيت وأسهمت مع حروف العطف (الواو) و(الفاء) في تقوية المسلك الأسلوبي، وتكثيف الدلالة النصية للأبيات.

يحاول الشاعر عن طريق هذه التقنية الأسلوبية إثبات الكرم والشجاعة لهذا الرجل من خلال الأداة (لم) التي أثبت الصفات الجيدة لهذا الممدوح، فمن تجليات هذا البعد الأسلوبي في النص هو انبثاق البنى التركيبية وتداخل دلالاتها سواء أكان من خلال تراكم الأفعال في النص أم بعض الأساليب الأخرى، إذ ينطلق هذا النص في موقف تقابلي من لدن الشاعر ليصوّر الآخر ويتجلى هذا الموقف التقابلي من خلال إثبات الصفات الحسنة، وهذا تمَّ عن طريق الرؤية الإبداعية التي جسّدها المبدع من أجل إدراك جوهر الفعل الشعري وفهم الجانب الفني الذي يقوم عليه النص.

إنَّ نجاح الشاعر وتفوقه يتوقف على إمكانيته وسعة ثقافته في استعمال مفردات اللغة وتطويعها لما يريد؛ لأنَّها الوسيلة التي تمكنه من تأدية معانيه بطرائق مختلفة [٣٦]ومن بديع صوره التي يجمع فيها أكثر من نفي موظفاً الاستثناء مع النفي للوصول إلى غايته، ، قوله:[٣٧]

ليس في الارض قبيل مثلكم حين يرفض العدا غير جُشمْ

لستُ للصمة إن لم آتكم في الخناذيذ تباري في اللُجمْ

نراه يكرر النفي مستعملاً الأداتين (ليس و لم) ،ويكثف اسلوب النفي الذي شكَّل بؤرة تركيبية تعاضدت مع الفكرة الرئيسة في الابيات وهي مدح قومه والثناء

---

[٣٦]لغة الشعر بين جيلين:١٠.

[٣٧] ديوانه :١٢٥.

عليهم، وكانت اداة النفي (ليس) هي المحرّك الأساس في النص، ففي البيت الأول نرى النفي قام على تأكيد الفكرة الاساس في النص. ونستطيع رصد الطاقة الإيحائية في النص التي شكَّلها النفي الذي تعاضد مع الاستثناء في استثارة الدليل اللساني الذي عَمِل على إنتاج الدلالة اللغوية وتحولاتها، وقد عملت دلالات النفي على بعدين (النفي والإثبات)، ومن خلالهما يتم رصد عناصر الإبداع الشعري عند دريد بن الصمة من خلال الصورة الكلية والتي تشكلت من الصور الجزئية، ولكن في نسيج واحد محكم، فلا يمكنك الفصل بين الصورة الكلية والصورة الجزئية المكونة لها، فالكل في وحدة تماسك عضوية، وفي نسيج شعري واحد يتميز بالترابط والتماسك.

ألّف أسلوب النفي ظاهرة أسلوبية واضحة في شعره، وعملت على إثراء بنية جملته الشعرية، الأمر الذي مكَّنَ الشاعر من التعبير عن معانيه بسهولة ويسر، وقد تنوعت أدوات النفي تجسيدا لإثراء موسيقى شعره الداخلية، وإبراز الجوانب الموضوعية والنفسية التي أراد التعبير عنها.

يشكل التقديم والتأخير عند الشاعر بكثافته وتوتره ملمحاً أسلوبياً بارزاً في القصيدة له أثره في الوظيفة الدلالية وإثارة المعاني الإيحائية في النص.

الخاتمة:

جاء تركيب النص الشعري عنده قائما على الفصل والوصل والحذف، ليعبر من خلالها عن معاناته, هذا التنويع في التراكيب يدل على قدرة الشاعر وبراعته الفنية في صياغة القصيدة.

شهد شعر دريد بن الصمة شيوع أسلوب الاستفهام وبروزه من بين الأساليب الإنشائية الأخرى التي وردت في شعره، فقد خرج عن معناه الحقيقي الى معان مجازية كانت لها دلالاتها، أغنت بدورها النصوص الشعرية التي وردت فيها مما اكسبها بعداً إيحائيا وتعبيرياً مميزاً، فكانت أدوات الاستفهام تحمل بين طياتها وظيفة تنبيهية افهامية

انفعالية منبثقة من أعماق الشاعر خدمة للفكرة التي يريد إيصالها إلى المتلقي واقناعه بها لتكون عنصراً اقناعياً تميل إليه نفس المتلقي.

أما أسلوب الأمر فقد شكّل ظاهرة أسلوبية في نتاجه الشعري، واتخذ منه وسيلة فنية لإيصال أفكاره وأخيلته إلى المتلقي، وقد انحرف فيه عن الحقيقة ليقتحم فضاءات المجاز ويحقق حضوره حيوية دلالية ونشاطاً فنياً، فجاء محملاً بمختلف المعاني كالتحريض والحث والدعاء والنصح.

يؤدي الشرط و بنية النفي إلى كسر النمط وخلخلة القوانين التركيبية القارة دوراً لا يستهان به في تعميق مضامين القصيدة القائمة على الإفصاح عن مشاعره المختلفة .

ثبت المصادر والمراجع:

- أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ،د.حسنى عبد الجليل يوسف مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ،دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع ،الإحساء،ط٢٠٠١م.
- أساليب الاستفهام في القران الكريم، عبد العليم السيد فودة ، دار الشعب ،القاهرة ، ١٩٥٣م.
- أسرار العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٣ ، القاهرة: ١٩٦٦
- الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٢م .
- جمهرة أنساب العرب , علي بن سعيد بن حزم – تحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف ١٩٦٩.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، د.احمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،١٩٧٠ م.

– دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د،ط) ١٩٧٨م.

– ديناميـة النص(تنظيـر وانجـاز)، محمـد مفتـاح، المركـز الثقـافي العـرب،ط٢، ١٩٩٠م.

ديـوان دريـد بـن الصـمة، تحقيـق د. عمـر عبدالرسـول ،دار المعـارف، القـاهرة، ١٩٨٥م.

– شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ومعه كتاب منتهى الأدب ، ابن هشام الأنصاري ،(ت ٧٦١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨.

– شرح المفصل ، موفق بن يعيش النحوي ت (٤٠٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ت.

– علم المعاني ، د.درويش الجندي ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، (د،ت

– كتاب الطراز المضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق، عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠٠٢م.

– لسان العرب لابي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر, بيروت د.ت .

– لغـة الشـعر بـين جيلـين،د. إبـراهيم السامرائي،المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر ،بيروت،ط٢، ١٩٨٠م.

– لغة الشعر عند السيد حيدر الحلي،أحمد صبيح محسن الكعبي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، مقدمة إلى مجلس كلية التربية، جامعة بابل،٢٠٠٤م.

– مستويات البناء الشعري عند محمد بن إبراهيم بن سنة(دراسة في بلاغة النص)، شكري التونسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،ط١ ،١٩٩٨ م.

– مفتاح العلوم ، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) حققه وقدم له وفهرسه : د . عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م .

– المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الاوقاف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية لجنة احياء التراث، القاهرة، ط١ ،١٩٩٤ م.

– النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة، دار الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.